□ لا شيء خارق كالانسان يا ولدي ، ولا محرك كالعذاب · كنت في عذابي كذلك الصاروخ الذي ينتظر العد العكسي : عشرة ، تسعة ، ثمانية ، ويهون العذاب حتى يتلاشى مع الصفر ، فاذا بالروح تنطلق من قمقمها الجسد مثل الصاروخ صعودا الى اعلى لتلف في المدارات التي اختارت · وبين القدس والفدائي مدار روحي ·

ويتطلع بنا ، يريد توكيد الحقيقة على البلاغة ، ويقسم بانه لم يشعر طيلة ايام حياته بالعملقة والقوة التي احس بهما وهو في سجنه وفي اخريات ايام اضرابه عن الطعام :

□ اصبحت وانا الواهن الضعيف اقوى منهم يا ابنائي ، اقوى منهم بكثير · صار السجان الذي اعتاد ان يثقل علي من شباك زنزانتي يطاطىء رأسه امام تمتمات صلاتي ، وشموخ ارادتي ، ورفضي لارهابهم واغرائهم ·

وتقول له : الحياة ، اذن وقفة عز وموقف رجل ! فيقاطعك ليقول :

□ ولا تكتمل رجولة انسان قبل ان يصهر ببوتقة العذاب · أولم تكن تلك سيرة الفادي الاول السيد المسيح ؟ اولم يعان الرسول العربي مما هو اشق على النفس والجسد ··؟ وكل الرواد ، كل الثوار ، هم رسل حق وانبياء صغار من اجل الحق والعدل والسلام ·

وينزل من ملكوت سماواته الى الارض ويذكر :

□ اولم يتحمل شعبنا الفلسطيني اكثر مما تحملت انا ؟ او لم يقض جيلا من عمره في المنفى ؟ او لم يذيقوه كأس الذل مترعة ، فاوقفوه طوابير طوابير من اجل لقمة خبز او ملجأ او وثيقة سفر او شهادة ميلاد ؟ انا من هؤلاء يا اولادي ، هؤلاء هم اهلي وعشيرتي واخوتي وابنائي ·

وينظر الى ثوبه الديني والصليب المدلى بسلسلة فضية من عنقه ليضفي على لحيته وشاربه ضوءا من نور ويقول :

□ ولاني مطران ، ولاني رجل دين ، فانا اولى من غيري بالحس قبل غيري· او لم نات هدى للناس ورحمة ؟ ولا فضل لي في ذلك يا ابنائي ، فانا مسير ولست مخيرا ، وما كان يمكن لمصيري ان يكون غير ما كان عليه · هي ارادة الرب ان اقوم بواجبي قدر طاقتي ، وقد فعلت ذلك قبل دخولي السجن ، واتممت ذلك وانا في السجن ، وسأفعل واجبي بعد السجن ·

وتريد ان تخفف له حدة ما عانى ، وان تطيب خاطره ، فتقول له :

كنا كلنا معك يوم سجنوك وعذبوك · كنت معنا فوق كل رابية وعند كل منعطف ، في كل شارع ، في كل منزل ، في قلب كل فلسطيني ، بل في قلب كل